

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ٢٨ ربيع الآخر ١٤٤٣ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ أَقَامَ الْإِسْلَامُ حَضَارَةً بَلَغَتْ بِالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْجَ كَمَالِهَا؛ حَيْثُ اسْتَمَدَّتْ قِيَمَهَا الْإِنْسَانِيَّةَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، الْحَافِلَانِ بِالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

إِنَّ حَضَارَةَ الْإِسْلَامِ لَمْ تَنْلِ هَذِهِ الْمَكَانَةَ وَلَمْ تَحْظَ بِهَذَا الْإِعْجَابِ إِلَّا لِمَا حَظِيَتْ بِهِ مِنْ دَعَائِمٍ قَامَتْ عَلَيْهَا، وَخَصَائِصٍ اخْتُصَّتْ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْحَضَارَاتِ الْأُخْرَى، وَمِنْ هَذِهِ الدَّعَائِمِ:

الأولى: رَبَّانِيَّةُ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. فَالشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَاعِدَتُهَا الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا، وَالَّتِي بِدُونِهَا لَا يَتَحَقَّقُ الْإِصْلَاحُ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَلَنْ تَسْتَقِيمَ حَضَارَةٌ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾، بِخِلَافِ الْحَضَارَاتِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَى أَهْوَاءِ دُعَاةِ الْإِغْوَاءِ، الَّتِي أَهْلَكَتِ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ.

الثانية: الشُّورَى. فَقَدْ أَوْصَى الْإِسْلَامُ بِالشُّورَى وَحَثَّ عَلَيْهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، وَامْتَدَحَ اللَّهُ أَهْلَهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

الثالثة: الْعَدْلُ مَعَ الْخَلْقِ كَافَّةً. فَبِالْعَدْلِ تَقُومُ الْحَضَارَاتُ، وَتَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، وَحَثَّ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الرابعة: الْأُخُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ. فَقَاعِدَةُ التَّفَاضُلِ بَيْنَ النَّاسِ التَّقْوَى، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ شَرْقِيٍّ وَلَا غَرْبِيٍّ، وَلَا عَرَبِيٍّ وَلَا أَعْجَمِيٍّ، وَلَا أَبْيَضَ وَلَا أَسْوَدَ، فَرِسَالَةُ الْإِسْلَامِ عَالَمِيَّةٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

الخامسة: الرَّحْمَةُ بِالضُّعْفَاءِ، بَلْ بِالْحَيَوَانِ. أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي

وَقَاصٍ ﷺ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوسَّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا»، وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا، فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ، فَجَرَجَرَ [الْجَرَ جَرَّةً: صَوْتُ الْبَعِيرِ عِنْدَ الضَّجْرِ]، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرَاتَهُ [أَيَ ظَهْرَهُ وَأَعْلَاهُ] وَذِفْرَاهُ [أَيَ: مُؤَخَّرَ رَأْسِهِ]، فَسَكَنَ، فَقَالَ: «مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟»، فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَهَا اللَّهُ؟، إِنَّهُ شَكََا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِيهِ» [أَيَ: تُكِدُّهُ وَتُتْعِبُهُ]، وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمْرَةً [طَائِرٌ صَغِيرٌ كَالْعُصْفُورِ] مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ، فَجَعَلَتْ تُفْرِشُ [أَيَ: تَرْفَعُ فَوْقَهُمَا، وَتُظَلِّلُ عَلَيْهِمَا]، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» وَرَأَى قَرْيَةً نَمْلٌ قَدْ حَرَّفْنَاهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الزُّمُوا طَاعَةَ اللَّهِ ﷻ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِهِ، وَفَاخِرُوا بِالْإِنْتِسَابِ لَهُ؛ فَإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، وَفِيهِ ذِكْرُكُمْ وَفَخْرُكُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾. أَيَ: فِيهِ شَرَفُكُمْ وَفَخْرُكُمْ، وَعُلُوُّ قَدْرِكُمْ، وَعِظَمُ أَمْرِكُمْ، وَارْتِفَاعُ أُمَّتِكُمْ، فَكُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهَا مَا تُفَاخِرُ بِهِ مِنْ رِجَالٍ خَطُّوا أَسْمَاءَهُمْ فِي مُنْجَزَاتِهَا، أَوْ أَيَّامٍ كَانَتْ مَوْعِدًا لِإِنْتِصَارِهَا وَمَجْدِهَا، أَوْ أَحْدَاثٍ أَظْهَرَتْهَا وَأَشْهَرَتْهَا، وَامْتَارَتْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ عَنْ سَائِرِ الْأُمَمِ بِأَنَّهَا أُمَّةٌ كِتَابُهَا مَحْفُوظٌ، وَدِينُهَا مَوْرُوثٌ، وَعَلَى وَفْقِ دِينِهَا بَنَتْ حَضَارَتَهَا، وَسَنَّتْ تَشْرِيعَاتِهَا، وَتَعَامَلَتْ مَعَ غَيْرِهَا؛ فَكَانَتْ أُمَّةً حَقٌّ وَعَدْلٌ وَرَحْمَةٌ حِينَ كَانَ غَيْرُهَا مِنَ الْأُمَمِ أَهْلَ بَاطِلٍ وَظُلْمٍ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ حَضَارَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ أَوْسَعُ الْحَضَارَاتِ امْتِدَادًا عَبْرَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ؛ حَيْثُ عَمَّتْ أَرْجَاءُ الْأَرْضِ، وَحَكَمَتِ الْعَالَمَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَرْنًا، وَرَغِمَ هَذَا الْإِتْسَاعُ الْهَائِلُ، وَالْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ فَإِنَّهَا أَقَلُّ الْحَضَارَاتِ الْبَشَرِيَّةِ سَفْكًَا لِلدَّمِ، وَتَعْذِيبًا لِلْبَشَرِ، وَنَشْرًا لِلْجُوعِ وَالْفَقْرِ؛ لِأَنَّ دُعَاتَهَا فَتَحُوا قُلُوبَ النَّاسِ لِلْإِسْلَامِ قَبْلَ فَتْحِ بُلْدَانِهِمْ بِالسِّنَانِ، وَرَأَى النَّاسُ مِنْهُمْ الرَّحْمَةَ وَالْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ، فَسَلَّمُوا لَهُمْ، وَفَضَّلُوهُمْ عَلَى حُكْمِ غَيْرِهِمْ، وَأَكْثَرُ بِلَادِ الْأَرْضِ إِبَّانَ الْفُتُوحِ دَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ سِلْمًا، وَرَضِيَ أَهْلُهَا بِحُكْمِهِمْ قَبْلَ الْحَرْبِ.

إِنَّهَا حَضَارَةٌ لَمْ تَحْتَكِرِ الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ، وَلَا الصَّنَاعَةَ وَالتَّجَارَةَ، وَأَتَاخَتْ عُلُومَهَا وَمَعَارِفَهَا لِكُلِّ مُنْتَفِعٍ بِهَا؛ وَذَلِكَ لِمَا أَصْلَهُ دِينُهُمْ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ نَفْعِ النَّاسِ، وَبَذَلِ الْمَعْرُوفِ لَهُمْ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، فَقَدْ رَوَّضَتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

إِنَّهَا حَضَارَةٌ لَمْ تُفْسِدِ الْاِقْتِصَادَ بِالرِّبَا وَالْقِمَارِ، وَلَمْ تَخْنُقِ الْفُقَرَاءَ بِالْغِشِّ وَالْاِحْتِكَارِ، وَإِنَّمَا رَاعَتْ حَاجَةَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَالْقَوِيَّ وَالضَّعِيفَ، وَالرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَالْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ، فَأَعْطَتْ كُلَّ

ذِي حَقِّ حَقُّهُ بَلَا زِيَادَةٍ وَلَا بَخْسٍ، ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ»: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَسْأَلُ عَلَى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَقَالَ: مَا أَنْصَفْنَاكَ أَنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبَابِكَ، ثُمَّ ضَيَعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ، ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ.

هَذِهِ الْحَضَارَةُ الْعَظِيمَةُ وَسَعَتِ النَّاسُ كُلَّهُمْ، وَشَهِدَ لَهَا الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ شَتَّى الْأَدْيَانِ وَالْأَجْنَاسِ، وَأَقْرَأُوا بِأَنَّهَا أَعْظَمُ حَضَارَةٍ مَرَّتْ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ مُنْذُ دَوْنِ التَّارِيخِ إِلَى زَمَنِنَا هَذَا. هَذِهِ الْحَضَارَةُ الْمُمَيَّزَةُ فِي جَمِيعِ الْمَيَادِينِ وَالْمَجَالَاتِ تَجِدُ عُقُوقًا وَحِقْدًا عَلَيْهَا مِنْ بَعْضِ أُنْبَائِهَا، يَفُوقُ حِقْدَهُمْ عَلَيْهَا حِقْدَ أَعْدَائِهَا؛ فَيَفْضِلُونَ عَلَيْهَا حَضَارَةَ الْغَرْبِ، رَغْمَ مَا فِيهَا مِنْ تَوْحُشٍ وَدَمَوِيَّةٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْفَرَحُ بِالْإِسْلَامِ، وَالْفَخْرُ بِالْإِنْتِسَابِ لِحَضَارَتِهِ لَيْسَ لِأَنَّا وَلِدْنَا فِيهَا، وَلَا لِأَنَّ آبَاءَنَا وَأَجْدَادَنَا كَانُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَلَكِنْ لِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الْحَقِّ، وَحَضَارَتُهُ حَضَارَةُ الرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ، فَالْإِعْتِزَازُ بِهَا اعْتِزَازٌ بِالْإِسْلَامِ، وَالْإِعْتِزَازُ بِالْإِسْلَامِ اعْتِزَازٌ بِالْعُبُودِيَّةِ الْحَقَّةِ لِذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ، قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

إِنَّ الْكَارِهِينَ لِلْإِسْلَامِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَى الطَّعْنِ الْمُبَاشِرِ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي سَبِيلِ تَرْوِيحِهِمْ لِإِفْكِهِمْ ضِدَّ الْإِسْلَامِ يَطْعَنُونَ فِي بَعْضِ أَحْكَامِهِ، أَوْ شَرِيعَتِهِ، أَوْ حَمَلَتِهِ وَنَقْلَتِهِ، أَوْ يُنْكِرُونَ حَضَارَتَهُ؛ لِأَنَّ الطَّعْنَ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ - وَلَا بُدَّ - فِي الْمَنْقُولِ، وَإِذَا نُفِيتْ حَضَارَةُ الْإِسْلَامِ نُفِيَ كَوْنُ الْإِسْلَامِ حَقًّا، وَهَذَا بَاطِلٌ، فَهَؤُلَاءِ الْكَارِهُونَ لِلْإِسْلَامِ وَحَضَارَتِهِ قَدْ فَاضَتْ أَحْقَادُهُمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَعَجَزُوا عَنْ حَبْسِهَا، فَنَطَقَتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، وَكَتَبَتْهَا أَقْلَامُهُمْ، فَكَشَفُوا عَنْ مَكْنُونِ قُلُوبِهِمْ، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾. إِنَّهُمْ قَوْمٌ قَدْ اسْتَبَدَّلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، فَعُوقِبُوا عَلَى جُحُودِهِمْ وَنُكْرَانِهِمْ بِزَيْغِ قُلُوبِهِمْ، وَعَمَى بَصَائِرِهِمْ.